أُمْنِيَتي!

تأليف: أحمد عبد الرحيم
رسم: مامر تالوستان

كانَ لَدى جَدّي خاتَمٌ يُحَقِّقُ الأُمْنِيات، إذا طَلَبَ إلَيْهِ وَليمَةً عَظيمَةً؛ تَزْدَحِمُ المائِدَةُ بِأَطْباقٍ لَذيذَةٍ. وإذا طَلَبَ إلَيْهِ كِتابًا نادرًا غَيْرَ مَوْجودٍ في الأَسْواق؛ يَظْهَرُ في مَكْتَبَتِهِ فَجْأَةً. وإذا طَلَبَ إلَيْهِ جَوًّا لَطيفًا في يَوْمٍ حارٍّ، أَوْ دافِئًا في يَوْمٍ بارِدٍ؛ يَتَحَوَّلُ الجَوُّ إلى ما طَلَبَهُ في ثَوانٍ !

اعْتادَ جَدّي أَنْ يَتْرُكَ الخاتَمَ مَعَ جَدَّتي إذا سافَر، لِأَنَّهُ كانَ يَخافُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّياعِ أوِ السَّرِقَة. ولَكِن، بَعْدَ وَفاةِ جَدَّتي، لَمْ يَعُدْ هُناكَ مَنْ يَأْتَمِنُهُ عَلى الخاتَمِ في أَثْناءِ

سَفَرِه. حينَما كُنْتُ أَقْضي عُطْلَةَ نِهايَةِ الأُسْبوعِ عِنْدَه، وقَرَّرَ السَّفَرَ لِشَأْنٍ ما؛ رَأَيْتُـهُ يُمْسِكُ الخاتَم، سائِلًا نَفْسَهُ بِحَيْرَةٍ: «مَنْ أَئْتَمِنُهُ عَلى الخاتَم؟ مَن؟ مَن؟».

فَوَثَبْتُ رافِعًا يَدي: «أنا يا جَدّي، أُتْرُكْهُ مَعي أنا!».

ضَحِكَ جَدّي قائِلًا: «لَكِنَّكَ لا تَزالُ صَغيرًا يا نَبيه!».

فَأَجَبْتُه: «صَحيحٌ أَنّي صَغيرٌ، لَكِنَّني نَبيهٌ مِثْلَ اسْمي، وسَأَعْرِفُ كَيْفَ أُحافِظُ عَلى الخاتَم».

فَكَّرَ جَدّي قَليلًا، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ مُوافِقًا عَلى عَرْضي، لِأَقْفِزَ في حِضْنِهِ شاكِرًا إيّاه.

سافَرَ جَدّي، وعُدْتُ إلى مَنْزِلي. وظَلَّ الخاتَمُ مَعي، أَنْظُرُ إلَيْهِ ويَنْظُرُ إلَيّ. شَعَرْتُ بِالعَطَشِ إلى اسْتِخْدامِهِ وتَجْرِبَةِ قِواه. وأَقْنَعْتُ نَفْسي أنَّ جَدّي لَنْ يَغْضَبَ إذا عَرَفَ بِذَلِك، لِأَنَّني لَنْ أَسْتَخْدِمَهُ في أمْرٍ ضارٍّ.

أمْسَكْتُ الخاتَم، وقَرَّرْتُ أنْ أَطْلُبَ إلَيْهِ أُمْنِيَةً. ولَكِن، ما هِيَ الأُمْنِيَةُ الَّتي أُريدُها؟!

حَسَنًا، أنا أَعْشَقُ الطَّيَران، ولَكَم أَشْعُرُ بِالحَماسَةِ عِنْدَما أُشاهِدُ الأَبْطالَ الخارِقينَ في الأَفْلام، مِثْلَ «سوبرمان» و«بيتربان» وغَيْرِهِما، يُحَلِّقونَ بِلا أَجْنِحَةٍ!

طَلَبْتُ إلى الخاتَم، لا أنْ يَهِبَني قُدْرَةَ الطَّيَرانِ فَقَط، إنَّما أنْ يَجْعَلَ شارِعَنا ومَنْ فيهِ يَطيرونَ مَعي أيْضًا!

بَعْدَ لَحْظَةٍ، وَجَدْتُ الأَرْضَ تَهْتَزُّ تَحْتَ قَدَمَيَّ كَأَنَّهُ زِلْزالٌ، لِيَرْتَفِعَ كُلُّ شَيْءٍ مُفارِقًا الأَرْض، ومُتَحَرِّكًا بِسُرْعَةٍ نَحْوَ السَّماء.

طارَ المَبْنى الَّذي نَعيشُ فيه، وطارَتْ مَباني الجيران... فَشاهَدْتُ مِنْ شُبّاكِ غُرْفَتي المارَّة، السَّيّارات، كِلابَ وقِطَطَ الشّارِعِ تَطيرُ مَعَنا أيْضًا!

كانَتْ لَحْظَةٌ لا مَثيلَ لِجَمالِها؛ تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَتي الجُنونِيَّةُ أخيرًا، وأصْبَحَ الجَميعُ سُعَداء.

فَبائِعَةُ الخُبْزِ ظَلَّتْ تَضْحَكُ مُبْتَهِجَةً لِأَنَّها عَلى الرَّغْمِ مِنْ وَزْنِها الثَّقيل، اسْتَطاعَتِ الطَّيَرانَ بِخِفَّةٍ كَالعَصافير.

وجارُنا الَّذي اشْتَرى دَرّاجَةً لِابْنَتِه، رَكِبَها كَأَنَّهُ تَحَوَّلَ إلى طِفْلٍ مِنْ جَديدٍ، وجارَتُنا العَجوزُ فَتَحَتْ ذِراعَيْها مُحْتَضِنَةً النَّسَمات، وحَلَّقَتْ مُغَنِّيَةً أُغْنِيَةً عَنْ تَحْقيقِ الأحْلامِ البَعيدَة.

شَعَرْتُ أنّي كَالبَطَلِ الخارِقِ حينَما حَوَّلْتُ المُسْتَحيلَ إلى واقِعٍ، بَلْ أنا أفْضَلُ مِنْهُ لِأَنَّني مَنَحْتُ الآخَرينَ هَذِهِ الفَرْحَةَ كُلَّها. ولَكِنْ لِلأسَف، لاحَظْتُ أنَّ بَهْجَةَ الآخَرينَ لَمْ تَسْتَمِرّ طَويلًا.

بائِعَةُ الخُبْزِ انْشَغَلَتْ في جَمْعِ الأرْغِفَةِ الَّتي تَطيرُ كَيْ لا تَخْسَرَها، وجارُنا أفْلَتَتْ مِنْهُ الدَّرّاجَةُ لِيَنْطَلِقَ وَراءَها مَذْعورًا لِأَنَّهُ أمْضى أسابيعَ طَويلَةً في جَمْعِ ثَمَنِها. وجارَتُنا العَجوزُ الَّتي حانَ مَوْعِدُ ذَهابِها إلى الطَّبيب، أرادَتِ الهُبوطَ ولَمْ تَسْتَطِع.

أدْرَكْتُ أنَّ حُلْمي اللَّطيفَ لا بُدَّ أنْ يَتَوَقَّف، فَهُوَ لَمْ يَعُدْ لَطيفًا لِلجَميع. لِذَلِك، أمْسَكْتُ الخاتَمَ وطَلَبْتُ إلَيْهِ أنْ يوقِفَ هَذِهِ الرِّحْلَة، ويَرْجِعَ بِنا إلى حَيْثُ أتَيْنا، مُعيدًا كُلَّ شَيْءٍ إلى مَكانِهِ الأصْلِيّ.

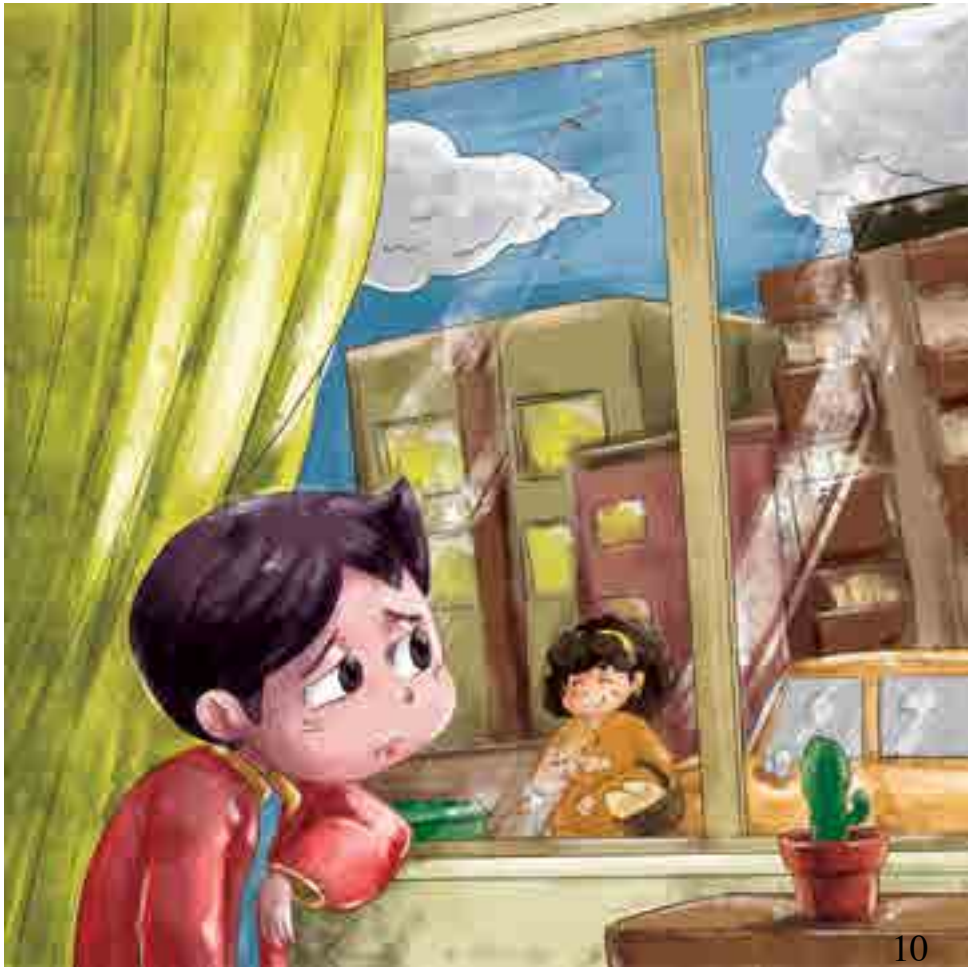

عُدْنا إلى قَواعِدِنا سالِمين، والْتَقَطَ الجَميعُ أنْفاسَهُم. مِنْهُم مَنْ قالَ إنَّها ظاهِرَةٌ عَجيبَةٌ، مُتَمَنِّيًا حُدوثَها مَرَّةً أُخْرى. ومِنْهُم مَنِ اكْتَفى بِها، وأعْلَنَ أنَّهُ لا يُريدُ تَكْرارَها. لَكِنَّ الأكيدَ أنَّهُم أرادوا انْتِهاءَها سَريعًا، وانْشَغَلوا بِأعْمالِهِم بَعْدَ ذَلِك، وتَرَكوني وَحيدًا!

ذَهَبْتُ إلى غُرْفَتي كَيْ أبْكي، وأسْألُ مُعْتَرِضًا: «لِماذا لا يُريدُ الجَميعُ أنْ يَلْعَبوا بِلُعْبَتي؟ لَمْ يَحْظوا بِواحِدَةٍ مِثْلِها طَوالَ عُمْرِهِم!».

بَقِيَ الحُزْنُ يُشارِكُني غُرْفَتي وأوْقاتي إلى أنْ عادَ جَدّي مِنْ سَفَرِه، وزارَني كَيْ يَسْتَرِدَّ خاتَمَه. وَقْتَئِذٍ، ما إنْ حَكَيْتُ لَهُ ما حَدَث، حَتّى لامَني مَرَّتَيْن. مَرَّةً لِأَنَّني اسْتَعْمَلْتُ الخاتَمَ مِنْ دونِ إذْنِه. ومَرَّةً لِأَنَّني أخْطَأْتُ عِنْدَما تَصَوَّرْتُ أنَّ ما يُسْعِدَني، هُوَ نَفْسُهُ ما يُسْعِدُ الآخَرين!

اعْتَذَرْتُ إلى جَدّي عَنْ فِعْلَتي، وانْتَبَهْتُ جَيِّدًا إلى كَلامِه؛ إذْ فَهِمْتُ لِماذا انْزَعَجَ أصْحابي الَّذينَ دَعَوْتُهُم إلى أحَدِ المَطاعِم، حينَ فَرَضْتُ عَلَيْهِم نَوْعَ الطَّعامِ الَّذي أُحِبُّه. ولِماذا تَضايَقَ ابْنُ عَمّي عِنْدَما زارَني مَرَّةً، وأجْبَرْتُهُ أنْ يُشاهِدَ مَعي فيلْمَ التَّشْويقِ الَّذي يُعْجِبُني، بَدَلًا مِنْ فيلْمِ الرُّسومِ المُتَحَرِّكَة الَّذي يُفَضِّلُه.

رَبَّتَ جَدّي عَلى كَتِفي، وطَمْأنَني باسِمًا: «مَنْ يَتَعَلَّمْ مِنْ أخْطائِه، فَهُوَ نَبيهٌ فِعْلًا».

وبَعْدَما اسْتَلَمَ خاتَمَهُ هَرَعْتُ إلَيْهِ مُتَمَسِّكًا بِطَرَفِ بَدْلَتِه، طالِبًا إلَيْهِ طَلَبًا واحِدًا.

سَألَني: «ما هُو؟».

فَأجَبْتُهُ بِكُلِّ شَوْقٍ: «أُريدُ أنْ يُحَقِّقَ الخاتَمُ لي أُمْنِيَةً قَبْلَ أنْ أُفارِقَه».

وفي خِلالِ ثَوانٍ، كانَ الخاتَمُ قَدْ حَقَّقَ أُمْنِيَتي، لِأطيرَ في السَّماءِ مَعَ الرّيحِ والعَصافير.